كتاب

وصف المطر والسحاب

وما نعتت العرب الروادم من البقاع

للإمام

أبي بكر محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي

٢٢٣ - ٣٢١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي علّم الإنسان سحر البيان ، وعلّم الأعرابَ وصف السحاب ، والصلاة الطيبة على من بُعث في العرب الأميين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ؛ ويكونُ لهم وللعالمين في هذه الحياة هدى ورحمةً إلى يوم الدين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أمّا بعدُ فإني كنت قد وصفت في مجلة مجمعنا العلميّ من ذخائر تبة الملك الظاهر كتاب (وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرُّوّاد من البقاع) من تصنيف أعلم الشعراء وأشعر العلماء وإمام البصريين في زمانه الشيخ الإمام أبي بكـــر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢٣ — ٣٢١ هـ) ، وذكرت أن في كتابه هذا ثلاثين حديثاً منها سبع وعشرون في المطر والسحاب ، وثلاثة أحاديث في الرّواد ، والحديث الأول في نعت الرسول العربيّ المُبين للسحاب ، وهو في الأمالي والأزمنة والأمكنة للمرزوقي بهذه الرواية الدريديّة عينها .

وليس في أمالي القالي من هـذه الأخبار غير الحديث النبوي وخبرين في السحاب ، وفي الأزمنة والأمكنة ومخصّص ابن سيده وديوان المعاني لأبي هلال وغيرها بعض الأخبار وأكثرها قصار أو أقوال للأعراب في وصف الغيث والسحاب ، وقد جمعت مختارها في ذيل الكتاب لتتم فائدته ، وشرحت ما غفلَ المصنّف أو الناسخ عن شرحه من غريب اللغة .

ومن المعاصرين مَن ذهب إلى أن الهمذانيّ قد وضع مقاماته على غرار ما ورد في الأمالي عن الأعراب في وصف السحاب بما رواه القالي عن شيخه ابن دريد ، وأنه من إنشائه ، وكأنهم يرون أن من العسير ارتجال أوصاف السحاب بمثل هذا البيان والاتقان ، على أن الأعراب في مظانهم ، وليس بينهم وبين السماء حجاب ، يكثرون بطبيعتهم وحاجتهم إلى الغيث من التحديق في السماء ، فأمسوا بطول الملاحظة والتجريب يميّزون بين البرق الخُلّب والبرق الصادق المغيث ، وبين العارض الممطر الذي يُترع الغُدران والكهام الذي لا يبلّ القيعان ، ولقد رأيت أيام فراري إلى البادية (١) أن صبيان الأعراب لكثرة ما يسمعون من آبائهم من أوصاف السحب

(١) في الحرب العالمية الأولى من بغي جمال السفاح ، وكان معي من شهداء شباب العرب : الجلال البخاريّ والأمير عارف الشهابي وعمر حمد وتوفيق البساط وعبد الغني العريسي وأحمد مريود رحمهم الله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قد حفظوا عن ظهر قلب تلك العبارات الوصّافة ، ومن عرف البوادي والفيافي مثلي وشافهَ الأعرابَ وسمع ألفاظ صبيانهم لا يَرى ما ينقل ابن دريد عن غلمان الأعراب عسيراً عليهم ولا كثيراً ، ولا يزال الأعراب في زماننا هذا في بوادي الشام ونجد والعراق واليمن وعُمان من أبرع الناس في معرفة أنواع السحاب . وفي المطر منه والكهام ، وفي معرفة أشكال البرق الخُلب والذي يخلفه الحيا ، والدّيمة التي تحيا بها الأرض شهرين أو أربعة أو نصف عام أو عاماً ، وما يبلغ الماء عمقَ شبر أو شبرين أو ذراعاً ، ويعرفون أسماء المطر من الطش والرش والسحّ وأسماء الغيام والقَزَع والرّكام .

مخطوطة الظاهرية . — لعلّ هذه النسخة الخطية هي أجلّ نسخة في خزائن الأرض ، فقد ذكر كاتبها الحسين بن عليّ بن محمد بن عني الكاتب أنه كتبها سنة ٤٥٥ للهجرة من مخطوطة منقولة عن نسخة مقروءة على أبي سعيد الحسن بن عبد الله السّيرافي ، وفيها خطّه وخبر قراءتها عليه ، ويظهر من صفحة العنوان أن هذا الكتاب قد وقف على المدرسة الضيائية بسفح قاسيون ، ثم انتقلت إلى خزانة المدرسة العمرية المشهورة في الصالحية ، ومنها انتقلت قبل أن تبلغها أيدي اللصوص إلى قبة الملك الظاهر .

وممّا يدل على جلالة هذه النسخة أن على صفحة العنوان إجازة بخط الإمام عليّ بن عبد الرحيم السُّلَميّ الرّقي اللغويّ (٥٠٨ — ٥٧٦ هـ) المعروف بابن العَصّار ، قال الصفديّ في الوافي بالوفيات : إنه انتهت إليه رئاسة معرفة اللّغة والعربية ، قرأ على أبي منصور ابن الجواليقي (صاحب المعرّب) ، وتخرّجَ به أمثالُ المكبريّ شارح المتنبي ، ويظهر أنه اعتمد في شرح المتنبي على شيخه السّلميّ الذي قالوا إنه كان عارفاً بديوان المتنبي علماً ودرايةً وقرأ عليه جمع كبير بالعراق والشام ومصر ، ويظهر أيضاً أنّ صاحب الاجازة السّلميّ قرأ هذا الكتاب بهذه النسخة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على شيخه موهوب الجواليقي ، فإن كثيراً من التصحيح والتوضيح في الهوامش مبدوء بعبارة (قال موهوب) وبخطّ وحبر واحد .

وعلاقتي بهذه المخطوطة قديمة العهد ترجع إلى ربيع الحياة ومرحلة طلب العلم ، وتمنيت يومئذ أن أوفق إلى نشرها ، وعاقت عوائق الدهر حتى حملني حبّها على وصفها وكلّفت بتحقيقها أخيراً ، ولم أفز بصورة من مخطوطة دار الكتب المصريّة ، ولعل تبدل الأحوال بالانفصال كان من الحوائل بيننا وبين معهد المخطوطات بالقاهرة ، ولكني استعنت بخزانة كتب المجمع العلمي وفيها مجموعة (جرزة الحاطب) التي نشرها بليدن المستشرق وليام ريط الانكليزي سنة ١٨٥٩ ، وهي تشتمل من النوادر على كتابين لابن دريد الأول صفة السرج واللجام ، والثاني صفة السحاب والغيث وأخبار الروّاد ، وعلى كتاب تلقيب القوافي لابن كيسان ، وعلى ديوان شعر طهمان بن عمرو الكلابي صنعة أبي سعيد السكري وعلى مقطعات متراث لبعض العرب رواها ثعلب عن ابن الأعرابيّ ، وكانت هذه النوادر المخطوطة في مكتبة جامعة ليدن ، وقد اهتممت بكتاب الغيث والسحاب الذي هو طلبة التحقيق ، وتبيّن لي بعد درس هذه النسخة الليدنية أنها منقولة من نسخة تغلب عليها الصحّة وقد أجاد الناشر عمله في تحقيقها ، وبين النسختين الليدنية والدمشقية اختلاف قليل ، تظهر نسختنا معه أنها أصحّ وأسلم ، وكيف لا تكون كذلك وهي منقولة من نسخة مقروءة على الإمام السيرافيّ ولعلّ شرحه لكتاب سيبويه أجلّ شروحه وهو تلميذ ابن دريد ، والظنّ الغالب أنه قرأ هذا الكتاب على شيخه مع ما قرأه عليه من كتبه ، وعلى هذه النسخة المقروءة عليه خطّه ، وفي هوامشها تعليقات بخطّ موهوب وهو أبو منصور الجواليقي شيخ علي بن عبد الرحيم الرّقي ، وهو من ائمة اللغة في عصره وذكرنا أنه كتب عليها إجازة لتلميذه الرئيس الأجل أحمد ابن محمد بن الضحّاك ، فهو قد قرأ نسختنا هذه على الإمام الجواليقي وأقرأها لتلميذه ابن الضحّاك ، وفي الصفحة ١٨ من نسختنا ما يدل على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أنها قوبلت بنسخة الكنديّ ، ولذلك كانت نسخة الظاهرية ولله الحمد لا تحتاج الى معارضة فهي من أجلّ ما في خزائنها من المخطوطات صحةً وضبطاً وإتقاناً .

وصف المخطوطة الظاهرية . — إن هذه النسخة جليلة بمؤلفها وموضوعها وبالأصل المنقولة منه ، وبأئمة اللغة الذين قرأوها وأقرأوها ، وبقدم خطها لأنها من القرن الخامس ، وقد بلغ عمرها ٩٢٧ سنة ، وهي تتألف من ٩٨ صفحة ، ومسطرتها (١٤٫٥ × ١٣) ، وفي الصفحة سبعة أسطر ، ومعدل السطر خمس كلمات ؛ أمّا الورق فمصفرّ متين لأنه مصنوع من القطن وخالٍ من مادة الخشب ، ولذلك صبر على حوادث الأيام أكثر من تسع مئة عام .

أمّا اسمها المكتوب على صفحة العنوان فقد ذكر مرتين : بخط دقيق (المطر والسحاب) وتحته كلمة (الرّواد) بخط جليل ، ومن تحتها : (عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ولم يقتصر هذا الاختلاف في الاسم على نسختنا هذه ، فقد كثر التصحيف فيه والاختلاف فهو في الفهرست وإنباه الرواة (رُواة العرب) بدل روّاد العرب ، وعند السيوطي وابن خلكان (زوّار العرب) ، وفي نسخة دار الكتب المصرية (المطر والسحاب) كالاسم المكتوب على نسختنا ، وهو في النسخة الليدنية (السحاب والغيث وأخبار الروّاد وما حمدوا من الكلأ) ، وهو في الوافي بالوفيات للصفدي (المطر والرُّواد) ، وقد جاء بين كتب ابن دريد التي سردها الصفدي اسم (زوّار العرب) ومن التاشرين للكتب من يَرى أنه تصحيف (رُوّاد العرب) ، قد يكون هذا صحيحاً ، وقد يكون هنالك لزوّار العرب كتاب لابن دريد ، لذكر الصفدي لهذين الكتابين ، وينبغي لنا البحث عن ذلك ، وهو السبب الذي من أجله ارتبنا فيما كتبه الناسخ على صفحة العنوان . ورأينا دفعاً للخلاف والارتياب أن نسمي هذا الكتاب بما سماه به ابن دريد في خطبته وهو (وصف المطر والسحاب وما نعتته العربُ الرّوادُ من البقاع) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ترجمة المصنّف

(٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ)

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد بن عتاهية بن حنتم بن حسن ابن حمامي بن جرو بن واسع بن وهب بن سلمة بن حنتم بن حاضر بن حنتم ابن ظالم بن حاضر بن أسد بن عديّ بن عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دَوْس ابن عدنان بن عبد الله بن زهير بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزديّ العُمانيّ البصريّ اللّغويّ .

قال أبو بكر بن دريد في كتابه الاشتقاق (٢٩٢) : ودُريد تصغير أدرد ، والأدرد هو الذي تحاتّت أسنانه ، وجده حماميّ أول من أسلم من آبائه ، قال ابن النديم وهو (جدّه) منسوب إلى قرية من نواحي عمان يقال لها حماما ، ويقول إمام عمان المجاهد غالب بن علي الثائر على الاستعمار نصره الله : إن ابن دريد حديديّ ، وبنو حديد قومه ما زالوا في (دما) المعروفة اليوم بالسّيب من الباطنة ، وبعضهم بوادي العين من أودية بني هُناءة من الأزد ، ولا يزال بطون الأزد كبني حديد واليحمد والعتيك وخروص وغيرهم منتشرين في عُمان ، ونبغ منهم الأئمة والقضاة والرؤساء .

وبعد تمصير البصرة وازدهارها بالحضارة واشتهارها بالتجارة ، وقد اشترك العُمانيون في تمصيرها ، أخذوا في انتجاعها ومنهم أسرة ابن دريد فكانت رحلتهم دواليك بين عمان والبصرة ، والبصرة وعمان .

ولادته ونشأته ـ قال الحسن بن عبد الله بن سعيد اللغويّ قال ابن دريد : وُلدت بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين . وذلك في خلافة المعتصم ، وقال الكمال ابن الأنباريّ : ذكر ابن شاذان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أن ابن دريد مات ببغداد سنة إحدى وعشرين وثلثمائة في السنة التي خلع فيها القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد ، وقال أبو الحسن الدريدي : ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية في ظهر سوق السلاح ووافقه المرزباني والتنوخي وغيرهما .

دراساته . — لقد ولد ابن دريد بالبصرة في سكة صالح ، وفيها عاش طفولته الأولى ، وفي أحد كتاتيبها تعلم مبادىء القراءة والكتابة بالقرآن وأصول الدين والحساب ، ويقول المرزباني والخطيب البغدادي وغيرهما : إنه نشأ بعُمان ، فلعلّه ذهب مع عمّه الحسين بن دريد وغيره من أقربائه إلى صُحار (١) قصبة عُمان الساحلية وقد نزلتها أسرته للتجارة ، وفي صُحار هذه نشأ وأيفع ، ثم عاد مع مربّيه الحسين بن دريد عمه إلى البصرة ليتم فيها دراسته الاعدادية ، فقرأ فيها على عمّه وهو معلمه الأول ، ومعلمه الثاني هو أبو عثمان الأشناندانيّ (٢) ، وقد اشترك مع عمه في تربيته وتعليمه ، وساعده على النجاح في دراساته قوّة حفظه التي ظهرت في صباه دلائلها منها أن معلمه الأشناندانيّ بينا كان يرويّه يوماً معلقة الحارث بن حِلِّزة اليشكري إذ دخل عليه عمه الحسين بن دريد ، فقال له : إن حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا ، ثم دعا بمعلّمه أبي عثمان ليأكل معه ، وتحدّثا بعد الأكل ساعةً ، وفي خلال هذه المدة كان ابن دريد قد حفظ

---

(١) قال ياقوت في بلدانه : وهي مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والسّاج كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها ... والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة ، و (صحار) دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق فتحها المسلمون في أيام أبي بكر الصدّيق في سنة ١٢ صلحاً ، واليها ينسب محمد بن زرزان الصحاريّ المالكيّ الشاعر .

(٢) وقد نشرت له جمعيتنا الرابطة الأدبية بدمشق كتابه معاني الشعر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ديوان الحارث بن حلّزة بأسره ، وعرّف عمّه ذلك فاستعظمه ، واختبره في حفظه ، فوجده صادقاً فأعطاه ما كان وعده به من العطاء .

وقال أحمد بن يوسف الأزرق (١) : إنه لم يُر أحفظ منه ، كان يُقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها ، ولو لا قوة حفظه لما استطاع أن يملىء كتاب الجمهرة من أوّله إلى آخره حفظاً ، وهو ابن أربع وسبعين سنة ، لا يستعين بشيء من الكتب إلاّ في باب الهمزة . فقد طالع له بعض الكتب .

ظهرت عليه في صباه مخايل النجابة ، وفي شبابه آيات النبوغ والبراعة مما أهّله ليأخذ عن أمثال أبي حاتم السجستاني والتوّزي والرياشي والزيادي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي وغيرهم ، فبلغ أمنية المتعلّم من اللغة والنسب والأدب ، وأصبح من أكابر علماء العربية والعرب .

رحلاته . — لم يتفق المؤرخون في عددها فقال المرزباني : نشأ بعمان ثم تنقل في جزائر البحر وفارس ثم ورد مدينة السلام ؛ وقال ابن النديم (٢) : أقام بالبصرة ثم مضى إلى عمان فأقام بها مدة ثم صار إلى جزيرة ابن عمر فسكنها مدة ، ثم صار إلى فارس فقطنها ثم صار إلى بغداد ؛ وقال ياقوت (٣) : ثم صار إلى عمان ثم إلى جزيرة ابن عمر ثم إلى فارس ثم قدم بغداد ، قلت : وقد فرّ في فتنة الزنج سنة ٢٥٥ هـ مع عمه الحسين بن دريد إلى عمان ، وفي قصبتها صحار كانت أسرته الحديدية الازدية ، وكان عمره يومئذ اثنتين وثلاثين سنة ، إذ ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ للهجرة ، قالوا وأقام فيها اثنتي عشرة سنة ، ومما لا يحتاج إلى بينة أنه قضى هذه المدة في العلم والتعليم .

(١) السبكي ٣/١٤٥ ، والأدباء ٦/٤٨٥ .
(٢) الفهرست لابن النديم ٦٠ .
(٣) الأدباء ٦/٤٨٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي إقامته الأخيرة مع عمه بالبصرة قلّد المقتدر بالله عبد الله بن محمد ابن ميكال الأعمال بكور الأهواز فطلب ابن دريد لتأديب ابنه أبي العباس اسماعيل لبعد صيته واتساع شهرته بالعلم والأدب ولغة العرب ، فلبّى ابن دريد الطلب وأقام مع الوالد وابنه بالأهواز نحو ست سنين ، وحصل لابن دريد جاه عظيم بعد أن قلّده عبد الله بن ميكال ديوان فارس ، فكانت كما يذكر التاريخ لا تصدر كتب فارس إلاّ عن رأيه ، ولا ينفذ أمرٌ إلاّ بعد توقيعه .

ويظهر من رواية العمانيّين التي لا يزال يرويها الآباء للأبناء بسند متصل إلى يوم الناس هذا ، أن صلة ابن دريد بابني ميكال كانت وثيقة ، ولعلها كانت قبل أن قلّد المقتدر بالله عبد الله بن ميكال كور الأهواز ، وأن تلك الصلة الوثقى كانت السبب الذي من أجله اختار ابن ميكال أبا بكر ابن دريد لتأديب ولده اسماعيل ، ولتقليده ديوان فارس .

وحدثني صديقي السيامي العماني بدمشق (١) ، بالقصة الجميلة التالية ، وقد خلت منها عندنا كتب التاريخ ، فآثرت إثباتها لأنها تجلو لنا من حياة ابن دريد صفحة بيضاء ، وجانباً من كرمه وسموّ أخلاقه ، وخلاصة هذه القصة على إحدى الروايتين :

انّ الأميرين الميكاليّين خرجا ذات يوم بسفينتهما من البصرة للنزهة في بحر الخليج العربي فهبّت عليهما رياح عواصف ، وسحّت ديمٌ من الأمطار ، ولم يستطيعا أن يلوذا بالسواحل ، فلبثا في السفينة على ظهر البحر العجّاج أيّاما إلى أن بدت لهما مدينة صحار العمانية ، وبعد أن نزلا إلى مرفئها دلّتهما الأهلون على دار الضيافة الدّريدية ، فرحّب بهما ابن دريد كل

(١) هو الشيخ سليمان السالمي ممثّل إمامة عمان بدمشق ، وكتب لي بنحو ذلك والده العلاّمة الشيخ محمد السالمي ابن علاّمة عمان ومؤرّخها الشيخ نور الدين عبد الله السالميّ ، وهذه القصة مدوّنة في كتب العمانيين ، وكم أدّى عدم التدوين إلى ضياع كثير من الحقائق والأخبار .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الترحيب وأكرمهما إكرام العرب للضيفان ، وهو لا يعرفهما ، ولم يعرّفاه بنفسهما ، وكان الوقت شتاءً والمطر مستمراً ، فلم يجد حطباً للوقود ليطبخ لهما الطعام لأن الحطب كان بالماء ريّان ، فكان يأخذ الأثواب من التجّار ويغمسها في الزيت ليوقد بها نار القِرى .

ولما رأى الضّيفان الميكاليّان ذلك قال الوالد لولده : هذا شيء لا يحتمله انسان ، ولا ينبغي للضّيف أن يكون ملّا ومؤذياً ، فاستأذنا بالانصراف وألحّا على ابن دريد في الرّجاء حتى أذن لهما ، فودّعاه ، وكتبا له عنوان مقرّهما وكانا على الأهواز ، وكان من قدر الله المحتوم أن ضاقت به الحالة ، وأضاعته الأيام ، وكان يأبى أن يتكسّب ببلاغته وشعره ، وقد رأى أخيراً أن يزورهما بعد نفاد الصبر ليستعين بهما على صروف الدهر ، فرحل إليهما وحلّ على الأمير عبد الله الميكالي ضيفاً ، ولبث في ضيافته نحو شهر ، فأكرمه كما يكرم سائر الناس ، ولم ير منه ما كان يرجوه من الإكرام والإحسان ، ولكن الأمير الميكاليّ كان قد جهّز لمنزله بصحار سفينتين شراعيتين ، وكتب لأهله بلسان ابن دريد كتاباً يأمرهم به بأن يفتحوا دار الضيافة كعادتها ، فامتثل أهلوه الأمر ، وعاد الضيوف والعفاة إلى قصدها في غيبته ، ولا علم لابن دريد بذلك .

وضاق صدر ابن دريد واستأذن الأميرين بالرجوع إلى بلاده ، وفي نفسه أنهما لم يقوما ببعض ما يستحقه ويأمله ، وأنه سيعود خائباً كمن حلّ بوادٍ غير ذي زرع ، وألحّ على الأميرين مستأذناً . ولما أعجزهما بإلحاحه جهّزاه بسفينة مملوءة بما يحتاج إليه ، ولم يخبراه بشيء مما فعلا ، وعهدا إلى ربّان السفينة أن لا يخبر ابن دريد بأن جهاز السفينة له بأمره ، وأقلعت السفينة أخيراً بابن دريد ، وسأل الربان أن ينزله من السفينة إلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

البر ليلًا لكيلا يشمت بسوء حاله العدوّ من أبناء بلده ، فامتثل الربان أمره وأنزله ليلًا كما أحبّ ، وسأله أن يعود إليه غداة غد إلى السفينة .

نزل ابن دريد ليلًا ، ورأى لسوء المنظر وكآبة المنقلب أن لايذهب إلى منزله ، ولجأ إلى بيت عجوز فاستضافها ، وسألها أن تأذن له بالعشاء في منزلها ، فعجبت العجوز لذلك وقالت له أتترك بيت ابن دريد ، وتطلب من مثلي العشاء ! فسألها ابن دريد قائلًا : ومن أين لابن دريد أن يقبل ضيفاً . وقد أفقره الضيفان ؟ فقالت له العجوز : إن ابن دريد بعد سفره كان يجهز لمنزله في كل شهر سفينة مملوءة بالأرزاق ، وأن دار ضيافته اليوم أوسع مما كانت عليه بالأمس ، وعاد ابن دريد بما سمع من العجوز إلى منزله فوجد ما أدهشه ، وما هو فوق ما كان يرجوه من الأميرين ويأمله وفي الصباح زاره ربّان السفينة وأخبره بأن ما في السفينة من وسق وأرزاق هي لدار الضيافة ، وكافأهما ابن دريد بقصورته الخالدة التي منها : (١)

إنّ العراقَ لم أفارق أهلَهُ ... عن شَنَإٍ أصدّني ولا قِلَى
إن كنتُ أبصرتُ لهم من بعدهم ... مثلًا فأغضيت على وَخْزِ القَذا
حاشا الأميرين اللذين أوفدا ... عليّ ظلاًّ من نعيم قد ضفا
تلافيا العيشَ الذي رنّقه ... صرف زمانٍ فاستساغ وصفا
وأجريا ماء الحيالي رَغَداً ... فاهتزّ غضي بعد ما كان ذَوى
إنّ ابنَ ميكال الأمير انتاشني ... من بعد ما قد كنت كالشيء اللقا
ومدّ ضَبعيّ أبو العبّاس من ... بعد انقباض الذّرعِ والباعِ الوَزِى

وأعطاه الأمير عبد الله الميكالي عليها عشرة آلاف درهم ، وحُكي عن تلميذه أبي العباس اسماعيل أنه أعطاه ثلاثمائة دينار . ولم تصل يده إذ ذاك إلى أكثر من ذلك .. واعتنى المتقدمون من العلماء بشرح الدريدية فبلغت

(١) والبيتان الأوّلان مما لسان حالي بعد فراق العراق وأبنائي به الأعزّاء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نحو خمسة وثلاثين شرحاً ومن شرحها من المتأخرين من أعضاء مجمعنا العلمي العربي صديقنا الشيخ عبد القادر المبارك ولم يزل شرحه مخطوطاً رحمه الله .

رحلته الى بغداد . — ولما مات عبد الله بن ميكال لم يقبل اسماعيل العمالة فرجع إلى خراسان ونيسابور ، ورحل ابن دريد إلى بغداد سيدة البلاد ومدينة السلام ، ودار العلماء والأدباء ودخلها شيخاً سنة ٣٠٨ هـ وعمره خمس وثمانون سنة ، وعلم المقتدر بفضله فأجرى عليه مشاهرة قدرها خمسون ديناراً ولم تزل عليه جارية حتى انتقل إلى دار الرحمة والقرار .

أخلاقه . — منها سخاؤه فقد كان لا يُليق درهماً ولا ديناراً وقد ورث من آبائه هذا الكرم ومن يشابه أبَهُ فما ظلم ، وكان مع سخائه ظريفاً ، ومن ذلك (١) أن سائلاً سأله شيئاً ، ولم يكن عنده سوى دَنّ من نبيذ فوهبه له ، فقال له بعض غلمانه : أتتصدّق بالنبيذ ؟ ثم أهدي له عشرة دِنان من النّبيذ فقال لغلامه : أخرجنا دنّا فجاءنا عشرة !

ومن خُلقه الحلمُ المبطّنُ بالسُّخر فقد أخبر أبو أحمد العسكري (٢) قال : كنا في مجلس ابن دريد ، وكان يتضجّر ممّن يخطىء في قراءته ، فحضر غلام وضيء فجعل يقرأ ويكثر الخطأ ، وابن دريد صابر عليه ، فتعجّب أهل المجلس فقال رجل منهم : لا تعجبوا فانّ في وجهه غفران ذنوبه ، فسمعها ابن دريد ، فلما أراد أن يقرأ قال له : هاتِ يا مَن ليس في وجهه غفران ذنوبه !

---

(١) الوفيات ١/٤٩٨ .

(٢) الأدباء ٦/٤٩١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن خُلقه إكرامه لطلابه الأذكياء المجدّين منها ما حكي عن السيرافي [١] قال : حضرت مجلس ابن دريد ، ولم يكن يعرفني قبل ذلك ، فجلست فأنشد أحد الحاضرين بيتين يُعزيان لآدم :

تغيّرت البلاد ومَن عليها فوجْهُ الأرض مُغبرٌّ قبيحُ
تَغيّر كلُّ ذي حسنٍ وطيب وقل بَشاشةَ الوجهُ المليحُ

فقال ابن دريد : هذا الشعر قد قيل قديماً ، وجاء فيه الاقواء ، فقلت له : إنّ له وجهاً يخرجه عن الإقواء ، نَصَبَ (بشاشةَ) وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين ، فيكون بهذا التقدير نكرةً منتصبةً على التمييز ، ثم رُفع (الوجه) بإسناد (قلّ) إليه فيصير اللفظ « فقلّ بشاشةَ الوجهُ المليحُ » قال فرفعني حتى أقعدني بجانبه .

مذهبه — ذهب ياقوت (— ٦٣٦ هـ) وغيره إلى أن ابن دريد كان من الخوارج فقال [٢] : إن أكثر أهل عمان في زمانه كانوا خوارج إلاّ أنه لا يُرى على ابن دريد أثرُ الخروج بل يشهد شعره بمخالفته للخوارج » قلت : ومن شعره الذي أشار إليه في ديوانه (٧٣) :

يا لقومي لقد بغى العبد موسى والعَسيف المدقّع المضروطُ
سمتِ الأزدُ بالحتوف إلى الأز دِ وموسى مُسلّمٌ مغبوطُ
فابلُغوا الجَهد أو فموتوا كراماً ليس يغني التّبريقُ والتخطيطُ
أترى الأزدَ يقسم الذلّ فيها خارجيٌّ وخاربٌ مُعروطُ
ثم ترضى بذلك الأزدُ أن تر ضَى ، فلا ريشَ سهمُها المروطُ

(١) السبكي ٢/١٤٥ .
(٢) البلدان في ذكر عمان ، والمسالك لابن حوقل ٣٢ ورحلة ابن بطوطة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويرى صديقي العماني أن ابن دريد لم يَعنِ بالخارجيّ أحد الخوارج فانه بمعنى الغريب الخارج عن قومه ، وأرى أنه أراد بالخارجيّ المدلول اللغويّ ، وابن دريد من أئمة اللغة ، فقد جاء في اللسان : والخارجيّ الذي يخرج ويشرُف بنفسه من غير أن يكون له قديم ، وعلى ذلك يكون ياقوت قد أخطأ في فهم الخارجيّ ، وفي قوله « إن أكثر أهل عمان في زمانه كانوا خوارج » ذلك أن أهل عمان ما كانوا خوارج إلاّ على غلاة الخوارج كالأزارقة والصُّفرية والنجدية ، فهم إباضيّة غير غلاة في خروجهم ، ولا يكفّرون أحداً من أهل القبلة ولا يعترضونه ولا يقاتلونه ، ومذهبهم الإباضيّ من مذاهب أهل السنة فهم متمسكون بالكتاب والسنة كل التمسّك ، ومن اطلع مثلي على مسندهم الصحيح للإمام الربيع ابن حبيب ، وجلّ أحاديثه في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجة ، علم صحة قولي ، وفي شرح هذا المسند الصحيح للنور السالميّ استشهاد بأقوال أئمة المذاهب الأربعة الموافقة لمذهبهم ، وقد رثى ابن دريد الإمام الشافعيّ فعده السبكيّ من الشافعيّة ، جمع الله شمل العرب والمسلمين ونصر العمانيّين على المستعمرين .

سياسته الحكيمة . — لا غرو إنْ حَذقَ ابن دريد علمَ السياسة بعد أن قضى في ديوان فارس بالأهواز نحو سبع سنين مارس فيها الأمور وعالج قضايا الإدارة ، وعرف طبائع الناس ، ويدلّ على بعد نظره السياميّ ومبلغ تأثيره في تصريف الأمور ، وقوّة شعره الحماميّ في تأليب عشائر الازد من قومه على أعدائهم الذين ما أوقعوا بهم في وقعة الروضة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلاّ بتفرقهم وتخاذلهم (١) ، وكان من تأثير شعره أن جمعت عشائر الأزد شملها ، وحملوا على أعدائهم حملة منكرة أخذوا بها ثأرهم وشفوا منهم ما في صدورهم من غِلّ ، وفي ديوانه من شعره السياسيّ المتعلق بشؤون عمان الداخلية (٢) ما يدلّ على نظره الثاقب وسياسته الحكيمة ، ولا يزال من أقرباء ابن دريد وعشائر الأزد مَن يحفظ هـذا الشعر الحربيّ ويفاخر بابن دريد .

مرضه ووفاته . — وحين كان بفارس سقط من منزله مرّة فانكسرت ترقوته ، وحين بلغ من عمره ٩٦ عاماً عرضَ له فالج فسقي له الترياقَ فبرئ منه ، وعادَ إلى إسماع تلامذته وإملائه عليهم ، ثم بعد حول تناول غذاءً ضاراً فعاوده الفالجُ فكان يُحرّك يديه حركةً ضعيفة وبطلَ من مَحزمه إلى قدميه فكان إذا دخل عليه داخل ضجّ وتألّم ، قال أبو علي القالي : فكنت أقول في نفسي : إن الله عاقبه بقوله في مقصورته حين ذكر الدهر :

مارستَ مَن لو هوتِ الأفلاكُ من جوانب الجوّ عليه ما شكا

وعاش بعد ذلك عامين ، وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة فيرد بأسرع من النَفَس بالصواب ، وقال مرة وقد سألته عن بيت شعر : لئن طَفِئَت شَحمتا عينيّ لم تجد من يشفيكَ من العلم يا بنيّ !

---

(١) الروضة موضع بعمان حصلت فيه وقعة مشهورة بين الازد اليمانية ونزار العدنانية .

(٢) انظر تحفة الأعيان (١٩٤/١) وما قاله ابن دريد في وقعة الروضة التي أذلت قومه الازد وأفضت مضجعه وأجرت مدمعه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال أبو علي : وآخر شيء سألته عنه جاوبني بأن قال : يا بنيّ ، حالَ الجريضُ دون القريض ، وكان كثيراً ما ينشد في ضعفه ما يدلّ على توبته ممّا اتّهموه به :

فواحزنا أن لا حياةَ لذيذةٌ ولا عملٌ يَرضى به الله صالحُ

وممّا رثاه به بعضُ البغداديين ، وقيل (١) هو أبو علي القالي البغداديّ :

عليكَ أبا بكر سلام ورحمةٌ بها في جنان الخلدِ أنتَ مخلّدُ
لِتبكِكَ أبكار المعاني وعونُها وغُرُّ القوافي حين تُروى وتُنشدُ
لأنشَرتَ بالعلم الخليلَ فخلتنا نشاهدُه إنْ ضمّنا منك مَشهدُ
وجالستنا بالأصمعيّ ومَعمرٍ وأوجَدتنا ما لم يكن قبلُ يوجَدُ
وخلنا أبا زيد لدينا مُمثّلا وأنتَ بفضل العلم أعلى وأزيدُ
وشاهدتنا بالمازنيّ وعلـــهِ وما غابَ عنا إذ حضرتَ المبرّدُ
وكنتَ إماماً في الروايات كلّها يُضاف إليك الصّدق فيها ويُسنَدُ
تَوحّدْتَ بالآدابِ والعلم والحجى فأنتَ بحسن الذكر منها مُوحّدُ
لقد شملت فيك الرزيّةُ يَعْرُبا ولَمْ يخلُ منها فيك مَن يَتمعّددُ
فما منكَ مُعتاضٌ ولا عنكَ سلوةٌ نظيرُكَ مَعدومٌ وحزني مُؤبّدُ

ومات ابن دريد يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلةً خلت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد وعمره ثمان وتسعون سنة ، ويوم مات ابن دريد مات الجُبّائي أيضاً فيه فقال الناس : اليوم ماتَ علمُ اللغة والكلام .

---

(١) لقد وقع في نفسي أنه أبو علي القالي البغداديّ ثم رأيتُ عالم الهند صديقي الميمني في سمطه (٢/١٠٦) يشتبه مثلي في ذلك ، ولكنه ظنّ في شك مريب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مراثي الشعراء . — لم نعرف جميع من رثاه بعد وفاته ، ومن رثوه جحظة البرمكي بقوله :

فقدتُ بابن دريد كل فائدةٍ لما غدا ثالثَ الأحجار والتُرَبِ
وكنتُ أبكي لفقد الجودِ منفرداً فصرتُ أبكي لفقدِ الجُود والأدبِ

ابن دريد في الميزان

كل ذي نعمة مالية أو علمية محسود ، ولذلك كثر في ابن دريد المادحون والقادحون والمدافعون ، فمن المادحين محمد بن رزق الأسدي (١) فقد ذكر أنه كان يقال : إن أبا بكر بن دريد (أعلم الشعراء وأشعر العلماء) وذكره أبو الطيب اللغوي في مراتبه بقوله : ابن دريد هو الذي انتهت إليه لغة البصريين ، كان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد ، وتصدّر ابن دريد في العلم ستين سنة .

ومن القادحين الدّارقطنيّ الذي سأله حمزة بن يوسف عن ابن دريد فقال : تكلّموا فيه ! وقيل : كان يتسامح في الرواية فيسند إلى كل واحد ما يخطر بباله ، والدارقطني من المحدثين ، ومن اللغويين نفطويه وأبو منصور الأزهري الذي يقول في مقدمة تهذيبه : وممّن ألّف في زماننا

(١) نزهة الألباء (٣٢٣) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكتب فرمي بافتعال اللغة وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها أبو بكر ابن دريد صاحب الجمهرة ، وقد حضرت في داره ببغداد غير مرّة فرأيته يروي عن أبي حاتم الرياشي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة يعني نفطويه عنه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته ، وقد تصفّحت كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة فلم أرِد لا على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيّدة ، وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها فأثبتها في كتابي في مواقعها لأبحث أنا وغيري عنها .

ومن المدافعين عنه الإمام السيوطيّ في مزهره (٥٨/١) ، وقوله يغنينا عن دفع ما ظُلم به ابن دريد من حسّاده ، وقد قال : معاذ الله ! هو بريء مما يُرمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحرّيه في روايته ، ولا يُقبل طعن نفطويه لأنه كان بينهما منافرة عظيمة ، وقد تقرّر في علم الحديث أنّ كلام الأقران في بعضهم لا يقدح .

وإنّما شنّع عليه التهمة بشرب الخمر مخالفوا مذهبه من الشافعية ، فقد كان ابن دريد ممن يرى رأي أهل العراق في النبيذ لا الخمر ، ثم إنه أية علاقة في التحقيق العلمي بين عادة الانسان وبحثه في العلم ؟ على أنه كما يظهر من شعره قد ترك في آخر حياته جميع ما يلام المرء عليه ، ولئن ثبت على رأي حاسديه أو مخالفيه القدح في ديانته ، فلا يثبت في صحة روايته ، فقد كان من تحرّيه فيها أنه كان يذكر اللغات التي لم تصحّ عنده بقوله : لا أحقّه ، أولا أدري ما صحته ، وما كانت عدارة نفطويه والأزهريّ إلا عن حسد أسرّاه في القلب لتأليفه الجمهرة ، أعاذنا الله من ظلم الناقدِ إذا نقَد ، وشرّ الحاسدِ إذا حَسَد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شيوخه . — أخذ ابن دريد عن شيوخ نبغوا في القرنين الثالث والرابع ، وهما من أزهر عصور العلم في الإسلام منهم :

١ — أبو إسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادي .

٢ — أبو بشر أحمد بن عيسى العكليّ .

٣ — أبو العبّاس أحمد بن يحيى (ثعلب) .

٤ — حامد بن طرفة .

٥ — الحسن بن خضر .

٦ — الحسين بن دريد عمّه ومربّيه .

٧ — أبو عثمان سعيد بن هرون الأشناندانى روى عنه (معاني الشعر) الذي نشرته بدمشق جمعية الرابطة الأدبية بمطبعة الترقي سنة ١٣٤٠ هـ .

٨ — السكن بن سعيد الجُرموزي وله ذكر في هذا الكتاب ، يروي عن محمد بن عبّاد عن ابن الكلبي .

٩ — أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني .

١٠ — العباس بن الفرج الرياشيّ .

١١ — عبد الأول بن مزيد أحد بني أنف الناقة .

١٢ — عبد الله بن أحمد المهزميّ الشاعر .

١٣ — عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي ، وكثير من أحاديث هذا الكتاب مرويّ عنه .

١٤ — العتبيّ .

١٥ — الفضل بن محمد بن العلاّف .

١٦ — أبو عمران الكلابيّ .

١٧ — محمد بن أحمد الحكيميّ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٨ — محمد بن أحمد الصولي .

١٩ — محمد بن الحسين يروي عن المازني .

٢٠ — معروف بن حسان يروي عن الليث .

٢١ — يزيد بن عمرو الغنوي .

تلامذته . — وقد اشتهر باللغة والأدب كثير من تلامذته الأعلام ، فكانوا من مفاخر العرب والإسلام منهم :

١ — إبرهيم بن الفضل الهاشمي .

٢ — أحمد بن عبيد الله بن شقير البغدادي .

٣ — أحمد بن علي القاشاني .

٤ — أحمد بن فضل بن شبابة .

٥ — أحمد بن محمد المكتفي بالله .

٦ — أحمد بن محمد بن الفضل الخزاز .

٧ — أحمد بن منصور اليشكري .

٨ — إسحاق بن إبرهيم بن الجنيد .

٩ — إسماعيل بن عبد الله الميكالي .

١٠ — إسماعيل بن القاسم أبو علي القالي .

١١ — الحسن بن احمد الفارسي (أبو علي) .

١٢ — الحسن بن بشر الآمدي صاحب الموازنة .

١٣ — الحسن بن عبد الله العسكري (أبو أحمد) .

١٤ — الحسين بن أحمد بن خالويه .

١٥ — الحسن بن عبد السلام السيرافي .

١٦ — ابن خير الورّاق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٧ — سهل بن أحمد الديباجيّ .

١٨ — عبد الرحمن الزجاجيّ أبو القاسم صاحب الجُمل .

١٩ — عبيد الله بن احمد المعروف بجحجخ .

٢٠ — عبيد الله بن محمد الجرادي .

٢١ — أبو عبد الله بن زكريا .

٢٢ — علي بن أحمد الدريدي (ورّاق ابن دريد) .

٢٣ — علي بن أحمد بن الصباح .

٢٤ — علي بن الحسين الاصفهانيّ صاحب الأغاني .

٢٥ — علي بن الحسين المسعودي صاحب المروج .

٢٦ — علي بن عبد الله بن المغيرة الجرهريّ .

٢٧ — علي بن عيسى الرّماني النحويّ .

٢٨ — علي بن محمد الكاتب .

٢٩ — علي بن مهدى .

٣٠ — عمر بن حفص المعروف بابن شاهين .

٣١ — عمر بن محمد بن سيف روى عنه كتاب النبات للأصمعيّ .

٣٢ — الفضل بن شاذان ، أبو علي .

٣٣ — محمد بن احمد الأخباريّ .

٣٤ — محمد بن أحمد الكاتب .

٣٥ — محمد بن بكر البسطاميّ .

٣٦ — محمد بن الحسن الحاتميّ .

٣٧ — محمد بن السريّ السرّاج .

٣٨ — محمد بن العباس بن حيويه .

٣٩ — محمد بن علي المعروف بمبرمان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤٠ — محمد بن علي بن مقلة الكاتب .
٤١ — محمد بن عمران المرزبانيّ صاحب الموشح .
٤٢ — محمد بن عمران الجوريّ .
٤٣ — المعافى بن زكريا النهرواني .
٤٤ — موسى بن رباح راوي الجمهرة .

كتبه . — ما رأينا لابن دريد كتاباً إلا ممتعاً ، وفيه ما لا يوجد في غيره من الكتب كهذا الكتاب ، وقد حفظ الله لنا معظم آثاره ، منها ما طبع ومالم يزل راقداً في الخزائن بعثها الله من مراقدها ليستفيد العرب من فوائدها ، وكتبه التي عرفناها هي :

١ — الجمهرة أو جمهرة اللغة طبعت في حيدر آباد (١٣٤٤ — ١٣٥٢ هـ) في ثلاث مجلدات والمجلد الرابع في الفهارس ، وهي مع الاشتقاق من أجلّ كتبه .

٢ — الاشتقاق ، أو اشتقاق أسماء القبائل كما ذكره ياقوت والصفدي والسيوطيّ ، وقد طبع أولاً في لبزك ١٨٥٤ ثم نشره الأستاذ عبد السلام هرون سنة ١٩٥٨ وأجاد في تحقيقه ووضع فهارسه القيّمة المفيدة .

٣ — وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرُّواد من البقاع وقد كثر في اسمه التصحيف فقد ذكر الصفديّ في الوافي بالوفيات زوّار العرب ، وذكر المطر والروّاد ، فلعل زوّار العرب كتاب آخر وجاء اسمه أيضاً رواة العرب ، ونرى أن الصحيح ما كتبه ابن دريد في فاتحته .

٤ — الملاحن ، ذكره ابن النديم والقفطي وياقوت وغيره ، طبع مرتين في أوروبة احداهما بليدن ١٨٥٩ والثانية في جوتا ١٨٨٢ ، ثم نشره الشيخ ابراهيم أطفيش في القاهرة ١٣٤٧ بالمطبعة السلفية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٥ — صفة السرج واللجام طبع بليدن ١٨٥٩ في مجموعة جرزة الحاطب .

٦ — المجتنى : ذكره ابن النديم والقفطي وابن خلكان ، وقد طبع في حيدر آباد ١٣٤٢ بعناية المستشرق الألماني الكبير سالم الكرنكوي ، ذكر ابن دريد بأنه سمي المجتنى لاجتنائه فيه طرائف الآثار كما تجتنى أطايب الثمار .

٧ — أدب الكاتب ، وقال ابن النديم : على مثال كتاب ابن قتيبة ، وذكره ابن الأنباري باسم ، أدب الكتّاب .

٨ — الأمالي ، وقد لخصها الجلال السيوطي وسماه : قطف الوُرَيد .

٩ — تقويم اللسان ، قال ياقوت : على مثال كتاب ابن قتيبه ولم يجرّده من المسوّدة ولعله كتاب أدب الكاتب الذي مرّ في الرقم السابع .

١٠ البنون والبنات ذكره السيد محمد بدر الدين العلوي في مقدمة ديوان ابن دريد .

١١و١٢ — الخيل الكبير والخيل الصغير كتابان ذكرهما ابن النديم وياقوت وابن خلكان وغيرهم .

١٣ — اللغات في القرآن ، وقد يكون هو كتاب غريب القرآن .

١٤ — المتناهي في اللغة كما جاء في تقديم العلامة عبد السلام هرون لكتاب الاشتقاق ووَجد اسمه في أمالي القالي (٢/٤٤) .

١٥ — الوشاح : قال ياقوت : على حدّ المحبّر لابن حبيب ، وقال ابن خلكان والصفدي : صغير مفيد ، وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ورقتان في الفُلَيم (ميكرو فيلم) رقم ١٨٩٥ في مجموعة من مكتبة الاسكوريال .

١٦و١٧ — المقتنى والمقتبس ذكرهما ابن النديم ، وذكر الثاني ياقوت وابن خلكان والسيوطي .

١٨ — فَعلتُ وأفعلت : ذكره ابن النديم وياقوت والسيوطي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٩ — ما سئل عنه لفظاً فأجاب عنه حفظاً ، قال ابن النديم : جمعه علي بن اسماعيل بن حرب عنه .

٢٠ — الشوشط : ذكره ابن النديم وياقوت والقفطي ، وجمعه أبو حفص في مائة ورقة .

٢١ — المقصور والممدود ، ولعله تلك القصيدة الهمزية المنشورة في صدر ديوانه فقد ذكر فيها أنواع القصر والمدّ في ٥٧ بيتاً ، ومطلعها :

لا تركننّ إلى الهوى واذكر مفارقة الهواءْ
يوماً تصير إلى الثرى ويفوز غيرك بالثّراءْ

هيامه بالكتب . — كان ابن دريد بالعلم مغرماً وبالكتب مفتوناً ، ويرى أن مفاتن الطبيعة إن عُدّت من متنزّهات العيون ، فانّ الكتب الممتعة من متنزهات القلوب ، قال الأمير أبو نصر بن أحمد الميكاليّ : تذاكرنا المتنزهات يوماً ، وابن دريد حاضر ، فقال بعضهم : أنزه الأماكن غوطة دمشق ، وقال آخرون : بل نهر الابلّة ، وقال آخرون : بل سُغد سمرقند ، وقال بعضهم : نهروان بغداد ، وقال بعضهم : شِعب بوّان ، وقال بعضهم : نوبهار بلخ ، فقال : هذه متنزهات العيون ، فأين أنتم من متنزهات القلوب ؟ قلنا : وما هي يا أبا بكر ؟ قال : عيون الأخبار للقتبي ، والزّهرة لابن داود ، وقلق المشتاق لابن أبي طاهر ثم أنشأ يقول :

ومن تلك نزهته قينةٌ وكأسٌ تُحثّ وكأسٌ تُصَبّ
فنزهتنا واستراحتنا تلاقي العيون ودرس الكُتُبْ

دمشق الجديدة في { ٢٦ رجب ١٣٨٢ هـ / ٢٢ كانون الأول ١٩٦٢ م

وكتب محققه وشارحه
عزالدين بن أحمد التنوخي
لطف الله به

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما جاء في صفحة العُنوان

قرأ عليّ الرئيس الأجلّ جمال الرؤساء أبو المكارم أحمد بن محمد بن الضحّاك[١] أدام الله علوّه هذا الكتاب قراءة صحيحة مَرضيّة؛ وكنتُ قرأته على الشيخ أبي الفضل محمّد بن الناصر بن عليّ الحافظ، وأخبرني به عن شيخه أبي الحسن المبارك ابن عبد الجبّار الحمّامي عن عبد الواحد بن الحسين بن قُرقُر[٢] الحذّاء عن العدل أبي القاسم اسماعيل بن سعيد بن سُويد عن أبي بكر بن دريد؛

وأخبرني أيضاً عن شيخه أبي زكرياء يحيى بن علي التبريزيّ اللغويّ، عن أبي يَعلى محمد بن الحسين بن الفرّاء[٣]، عن أبي القاسم بن سويد عن ابن دُرَيد؛ وأخبرني الشريف الخطيب أبو علي محمد ابن محمد بن عبد العزيز بن المهديّ إجازة عن أبي الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة البزّاز[٤] عن القاضي أبي سعيد السيرافي عن أبي بكر بن دريد

وكتب علي بن عبد الرحيم بن الحسن السُّلَميّ[٥] الرَّقّي بمدينة السلام

يوم الأحد لأربعة عشر (خلت) من شهر ... الأول سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١) لم نجد هـذا العلَم في مراجع الأعلام بأيدينا ، ولعله من آل الضحّاك المشهورين بصناعة الكتابة من مدينة الحلة العراقية .

(٢) هو عبد الواحد بن الحسين بن عمر بن قُرْقُر أبو طاهر الحذّاء سمع علي بن عمر الحربي وأبا الحسن الدّارقطني وأبا حفص بن شاهين وأبا القاسم ابن سويد وعبيد الله بن عثمان بن يحيى ، قال الخطيب البغدادي : كتبت عنه ، وكان سماعه صحيحاً (٣٧٧ — ٤٤٩ هـ) من تاريخ بغداد (١٦/١١) .

(٣) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد ، أبو يعلى المعروف بابن الفَرّاء ، أحد الفقهاء الحنابلة درّس وأفتى سنين كثيرة ، وحدّث عن أبي القاسم بن حبابة وعبد الله بن أحمد بن مالك البيّع ، وعلي بن معروف البزّاز وعلي بن عمر الحربي وعيسى بن علي بن عيسى الوزير واسماعيل ابن سعيد بن سُويد ، كتبنا عنه وكان ثقة ، (٣٨٠ — ٤٥٨ هـ) من تاريخ بغداد (٢٥٦/٢) .

(٤) محمد بن عبد الواحد بن علي بن ابرهيم بن رزمة أبو الحسين البزّاز : حَدّث عن أحمد بن يوسف بن خلّاد وأبي بكر بن سالم الختليّ وعمر بن محمد بن يوسف وأبي سعيد السيرافي ، كتبتُ عنه وكان كثير السماع (٣٥١ — ٤٣٥ هـ) من تاريخ بغداد (٣٦١/٢) .

(٥) هو عليّ بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك بن ابرهيم الشّلميّ المعروف بابن العَصّار اللغويّ الرّقيّ ، ورد بغداد وقرأ بها العلم ، وانتهت إليه رياسة معرفة اللغة والعربيّة قرأ على أبي منصور ابن الجواليقي ولازمه حتى برع في فنه ، وتخرّج به جماعة منهم أبو البقاء العكبري الضرير . وكان تاجراً موسراً سافر إلى الديار المصرية وأخذ عن أهلها وروى عنهم . وكان عارفاً بديوان المتنبي علماً وروايةً ، قرأه عليه جمع كثير بالعراق والشام ومصر ، ولم يكن في النحو مثل اللغة ، واجتمع في مصر بابن بَرّي وابن الخلّال الكاتب (٥٠٨ — ٥٧٦ هـ) . من مصوّرة الوافي بالوفيات للصّلاح الصفديّ (المجلد ١٢ والورقة ٩٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

قال أبو بكر محمَّد بن الحسن بن دُرَيد :

نبدأُ بحمدِ اللهِ عزَّ وجلَّ على آلائهِ ، ونختم بالصّلوة على خاتَم أنبيائهِ .

هذا كتابٌ جَمعنا فيه ما ذَكَرته العَربُ في جاهِليّتها وإِسْلامها من وصفِ المطر والسَّحاب ، وما نَعتَتْهُ العرب الرُّوادُ[1] من البِقاع ، ونرغب إِلى اللهِ عزَّ وجلَّ في التّوفيق للصّواب .

١ ـ حَدّثنا إِسْمعيلُ بن أحمدَ بن حَفصٍ النَّحويّ المعروفُ بسَمعان النَّحويّ قال حَدّثنا أبو عمر الضَّرير قال حَدّثنا عَبّادُ ابنُ عبّادِ[2] بن حَبيبِ بن المهلَّبِ عن موسى بن ابرهيم التيميّ[3] عن أبيه عن جَدّه[4] قال : بَيْنَا رسولُ الله ﷺ

(١) في نسخة ليدن (جوزة الحاطب) : الرُّوّاد العرب .

(٢) في الأمالي (١/٨) : حدثنا عبّاد بن حبيب بن المهلب ، وقد ينسب العربيّ إلى جدّه .

(٣) في الأمالي : إبرهيم التيمي ، وفي الليدنية : التيبيّ .

(٤) رواه المرزوقي في كتاب الأزمنة والأمكنة (٢/٩٩) عن أحمد ابن يحيى (ثعلب) عن ابن الأعرابيّ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذاتَ يوم جالساً [١] مع أصحابهِ إِذ نَشَأَتْ سَحابةٌ ، فقالوا : يا رسولَ الله ، هٰذهِ سَحابةٌ ، فقالَ : كيفَ تَرونَ قَواعِدَها ؟ قالوا : ما أَحْسَنَها وأَشَدَّ تَمكُّنَها ! قالَ : وكيفَ تَرونَ رَحاها ؟ ، قالوا : ما أَحسَنَها وأَشَدَّ اسْتِدارَتَها ! قالَ : فكيفَ تَرونَ بَواسِقَها ؟ قالوا : ما أَحسَنَها وأَشَدَّ اسْتِقامتَها ! قال : كيف تَرونَ بَرْقَها : أَوَمِيضاً أم خَفْواً ، أم يَشُقُّ شَقًّا [٢] ؟ قالوا : بل يَشُقُّ شَقًّا ، قال : فكيفَ تَرونَ جَوْنَها [٣] ؟ قالوا : ما أَحْسَنَهُ وأَشَدَّ سَوادَهُ ! فقال صَلَّى الله عليه :

---

(١) وفي الأمالي : ذاتَ يومٍ جالسٌ ، وأصل (بينا) بينَ أشبعوا فتحة النون فحدثت بعدها ألف ، وهي ظرف زمان مثل بينما .

(٢) وفي لسان العرب (خفا) : وخَفا البرقُ يَخفو خَفواً ، وخَفا البرقُ وخَفَى يَخفَى خَفْياً فيهما ، الأخيرة عن كراع النَّمل الهنائي : بَرَقَ برقاً خفيًّا ضعيفاً معترضاً في نواحي الغيم ، فإن لمع قليلاً ثم سكن وليس له اعتراض فهو الوميض وان شَقَّ الغيم واستطال في الجوّ إلى السّماء من غير أن يأخذ يميناً ولا شمالاً فهو العقيقة .

(٣) في نسخة ليدن : جَوْزَها ،

والجَوْن هنا الأسود ، ولعلهـا الرواية الصحيحة ، وهو من الأضداد ، قال الفرزدق يصف قصراً أبيض :

وجَونٍ عليه الجصُّ فيه مَريضة تَطلّع منها النفسُ والموت حاضِرُهْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحَيَا [١]، فقالوا : يا رسولَ الله ما رأينا الذي هو أفصحُ منك ، فقال : وما يَمنعني ، وإنّما أُنزِل القرآنُ بلساني لِسانٍ عَربيٍّ مُبين ؛

قال أبو بكر [٢] : قولُه (قواعِدُها) أسافِلُها [٣] ، و (رَحاها) : وسطها ومُعْظَمها [٤] ، و (بَواسِقُها) : أعاليها [٥] ، وإذا

(١) ما تحيا به الأرض من الغيث ، وفي حديث الاستسقاء : اللهم اسقنا غيثا مغيثا وحيا ربيعاً ، والحَيا مقصور ، وقد جاء ممدوداً ، وهو ممدود في كتاب الأزمنة والأمكنة (٢/٩٩) .

(٢) وفي الليدنية : بدل عبارات (قال أبو بكر) : تفسير الكلام

(٣) الواحدة قاعدة ، والقواعد من النساء واحدتهن قاعد ، وهي التي قعدت عن الولد .

(٤) وكذلك رحى الحرب حيث استدار القوم قال ربيعة بن مقروم الضبيّ :

فدارت رحانا بفرسانهم فعادوا كأن لم يكونوا رميا

(٥) الواحدة باسقة . قال جلّ وعز : « والنخل باسقاتٍ » وكثر في كلامهم حتى قالوا : بسق فلان على قومه في العلم والشرف ؟ قال أبو حنيفة (المخصص ٩/٩٦) : كِفاف السحاب أسافله ، وجماعة الأكفّة ، وشمارِيخه أعاليه وبواسقه ، وقواعده أركانه كأركان البنيان ، ورحاه مُستداره ، وروي أن رسول الله ﷺ سأل عن سحاب مرّت فقال : كيف ترون قواعدها وبواسقها ، أجَوْن أم غير ذلك ؟ وقال : كيف ترون رحاها ؟ ثم سأل عن البرق : أخَفْوٌ أم وميضٌ أم يشقّ شقّا ؟ فقالوا : يشقّ شقّا فقال : جاءكم الحيا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اسْتطارَ البرقُ من أعاليها ، إلى أسافِلها فهو الَّذي لا يُشَك في مَطَرِهِ ، و (الخَفْوُ) أضعَف ما يكون من البَرقِ ، و (الوَميضُ) : نحو التَّبَسُّم الخَفيّ يقال : وَمَضَ وأوْمَضَ :

٢ ـ أخبَرنا أبو حَاتِمٍ قال : أخبَرنا الأصمعيُّ قال [١] :

خَرجَ مُعَقِّرُ بْنُ حِمَارٍ البارقيُّ [٢] ذاتَ يومٍ ، وقد كُفَّ بَصَرُهُ ، وابْنَتُه تَقودُه ، فسَمِعَ رَعْداً فقال لابْنَتِه : ما تَرَيْنَ ؟ قالتْ : أراها حَمّاءَ عَقَاقَةً كأنها حُوَلاءُ ناقةٍ لها سَيْرٌ وَانٍ ، وصَدرٌ دَانٍ ، فقالَ : مُرّي لا بأسَ عليكِ [٣] !

ثمَّ سَمِعَ رَعداً آخرَ فقال : ما تَرَينَ ؟ قالتْ : أراها كأنَّها لحمٌ ثَنِيتْ مِنْه مَسِيكٌ ومِنهُ مُنْهَرِتٌ ، فقالَ : وَائِلي بي إلى قفْلَةٍ ، فإنها لا تَنْبُت إلاّ بمَنْجاةٍ من السَّيل ؛

---

(١) جاء هذا الخبر في اللسان (قفل) مختصراً ، قال : ومنه قول معقّر بن حمار لابنته بعد ما كُفَّ بَصرهُ ، وقد سمع صوتَ راعدةٍ : أيْ بنية : وائلي بي إلى جانب قفلة فانها لا تنبت إلاّ بمنجاةٍ من السيل ، وجاء أيضاً مختصراً في أزمنة المرزوقيّ (٢/٩٧) وفي خبره بعض اختلاف ، وجعل بعض النثر شعراً .

(٢) مُعقّر : بكسر القاف من العقر شاعر جاهليّ وهو القائل :

فألقت عَصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

(٣) وفي الليدنية : مُرّي ولا بأس عليك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال أبو بكر : (الحَمّاء) [١] : السّوداء تَضرب الى الحُمرة، (العَقّاقَةُ) تَنْعَقُ بالبَرقِ ، يُريد [٢] أنَّ البَرقَ يَنْشَقُّ عَقائِقَ الواحدة عقيقة ، و (الحِوَلاء) [٣] جلدة رقيقة تقع مع سَليلِ الناقة [٤] كأنها مِرآةٌ ، فشبّه السّحابَ في كَثرة مائهِ بالحِوَلاء ، قولها (لحمٌ ثَنِتٌ) تَريد مُسْتَرخياً قد أنْتَنَ : بعضُهُ [٥] متماسِكٌ وبعضُهُ مُتَساقِطٌ ، وهو (المُنْهَرِتُ) ،

---

(١) الحمّاء مؤنث الأحمّ وهو الأسود من كل شيء ، قال ابن سيده : والحُمْمَة لون بين الدُّهمة والكُمْتة .

(٢) ضمير (يريد) ينبغي أن يعود إلى ابنة معقّر البارقي ، ولو جاء (تريد) لكان أصدق .

(٣) قال الخليل : ليس في الكلام فِعَلاء بالكسر ممدوداً إلاّ حِوَلاء وعِنَباء وسِيَراء ، وحكى ابن القوطية : خِيَلاء لغة في خُيَلاء ، ويضربون المثل بالحولاء لأن ماءها أشدّ ماءٍ خضرةً وشبها بلون العشب ، وعليه قول الشاعر :

بأغنَّ كالحِوَلاءِ زانَ جَنابَهُ نَوْرُ الدَّكادِكِ سُوقُهُ تَتَخَضَّدُ

(٤) الأصمعي : إذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه سليلٌ قبل أن يُعلم أذكر هو أم أنثى ؟

(٥) في النسخة التيمورية : فبعضُه متماسك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

و (القَفْلَةُ)[١] ضربٌ من الشَّجر ، والجمع قَفْلٌ قال الشاعر[٢] :

ومُفْرَهِةٍ عَنْسٍ قدَرتُ لِسَاقِها فَخرَّتْ كما تَتَّابَعُ[٣] الرِّيحُ بالْقَفْلِ

قالَ (أبو بكر قوله : (تَتَّابَعُ) : تَجتمعُ ، ومنه تَتَابُعُ الفَراش في النار ؛ (المُتساقطُ) : أي يَسقطُ ويركب بَعضُها بَعضًا .

(يتبع) عز الدين التنوخي

---

(١) وفي لسان العرب (قفل) القَفْل بالفتح : ما يَبس من الشجر ، قال أبو ذؤيب : (ومُفرهةٍ عَنسٍ ...) الشاهد ، وهو من القُفول أي اليُبوس ، ورجل قافلٌ : يابس الجلد ، وواحد القَفْل قَفْلةٌ وقَفَلةٌ الأخيرةُ عن ابن الأعرابيّ حكاه بفتح الفاء ، وأسكنها سائرُ أهل اللُّغة قال ابن المكرّم : فان كان ذلك صحيحاً فقَفْل اسم الجمع .

(٢) هو أبو ذؤيب الهُذَليّ يذكر عَقْرَه ناقةً ، وأنّها كانت فخرّت على رأسها .

(٣) قال الأزهريّ : إتّابَعَتِ الريحُ بورَقِ الشجر : إذا ذهبت به ، وأصلُه تتابعت ، والتتابع النهافت في الشرّ واللجاج ، والسكران يتتابع : أي يرمي بنفسه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net